

تمهيد

تم التخطيط لهذا الكتاب، لكي يكون تاريخاً سياسياً وعسكرياً لسلطنة دلهي «الكبرى»، التي استمرت بعد إيجادها في 1210م، حوالي مئتي سنة، وشكلت على امتداد ما يقرب من نصف تلك الفترة، المعقل الوحيد للنفوذ الإسلامي في شبه القارة الهندية. أما الحقبة الممتدة من تاريخ قيام تيمورلنك، (تيمورلين)، ذلك الفاتح القادم من آسيا الوسطى، باجتياح دلهي ونهبها سنة 801 هـ / 1398م، وحتى الفتح المغولي، سنة 932 هـ / 1526م، تلك الحقبة التي لم تُعد فيها السلطنة، إلاً واحدة من مجموعة من الممالك الإسلامية المتنافسة في الشمال، فتجري تغطيتها بإيجاز في الذيل.

تبقى المواد المرجعية الخاصة بسلطنة دلهي - سرديّة في الشكل، ومكتوبة بالفارسية أكثر الأحيان، مع إضافة كتابات وصفية عن الهند، من قبل مراقبين خارجيين كتبوا بالعربية - أقل إقناعاً من تلك المتوافرة، مثلاً، عن الامبراطورية المغولية التي جاءت بعدها، أو من تلك المؤلّفة من سلطنة مصر وسورية المملوكية المعاصرة. كان جزء كبير من الأدبيات العامة عن هذه الفترة من التاريخ الهندي، ميالاً إلى المبالغة، حسب ما أرى، في الالتزام بالترتيب المعتمد في المصادر السردية، مما أدّى إلى تزويد القارئ، أحياناً كثيرة، بوجبة، تكاد أن تكون غير قابلة للهضم، من أحداث تبدو غير مترابطة.

لقد قسّمت الفترة إلى مرحلتين، جاعلاً من عهد علاء الدين الخَلْجي (695 - 715 هـ / 1296 - 1316م)، خطأً فاصلاً: فقد شهد هذا العهد، إجراء

جملة من التغييرات الإدارية ذات المدى البعيد، الهادفة، بأكثريتها، إلى تلبية متطلبات، مواجهة التصاعد في الهجمات المغولية من جهة، والتقدم الأكثر حيوية ونشاطاً في كل من راجستان، والجنوب من جهة ثانية. يتصدر كلاً من الجزأين (المرحلتين) فصلٌ عن المصادر، وعن وجهة النظر التي تطرحها عن السلاطين؛ غير أنني، فيما عدا ذلك، حاولت في كل جزء مقارنة المهمة حسب الموضوعات، مبرزاً مسألة تشكل الطبقة الأرستقراطية، وقضية التحكم الإداري، ومشكلة الحرب المزمنة والدائمة ضد خصوم السلطنة، وأعدائها من قوى هندوسية مستقلة، أو مغول أفغانستان وآسيا الوسطى. في الفصول الثاني عشر والثالث عشر والخامس عشر ثمة محاولة بُذلت، للربط بين الشؤون السياسية والعسكرية والتطورات الاقتصادية، على الرغم من ضرورة الاعتراف، بأن المواد المتوفرة لبناء تاريخ اقتصادي للسلطنة، ضئيلة نسبياً. إن فصلين مرتكزين على عهدي محمد بن تَغَلُوق (724 - 752 هـ / 1324 - 1351م)، وفيروز شاه (752 - 790 هـ / 1351 - 1388م)، يشكّلان خروجاً على الإطار الذي اعتمده؛ غير أنه بدا مفيداً تكريس دراسة متماسكة، لكل من هذين العهدين الإشكاليين. وأرجو أن يكون الفصل الرابع عشر، وهو حول علاقة السلاطين برعاياهم من السكان الهندوس، قد احتل مكاناً طبيعياً مناسباً بينهما، نظراً لأن محمداً كان يحابي الهندوس ويفضلهم، في حين يقال عن خلفه، إنه كان يتخذ مواقف أشد، وأكثر صرامة في تعامله معهم.

منذ سنوات، وهذا الكتاب في حالة اختمار، وحين كتبته راکمتُ عدداً غير قليل من وجوه المساعدة والعرفان بالجميل. لذلك يسعدني أن أكون قادراً، آخر المطاف، على التعبير عن الامتنان، لمنحة حصلت عليها من جمعية لفرهولمه Leverhulme، التي ساهمت في تكاليف الذين درّسوا بدلاً مني، لفترتين سنة 1990 - 1991م، ولسخاء جامعة كيلبي، التي سدّت النقص في تلك التكاليف من جهة، ومنحتني مكافأة بحث للقيام بدراسات إضافية لفترة ثانية،

مع تمويل نفقات البحث من جهة أخرى. أجدني أيضاً مديناً بالشكر لزملائي المتخصصين بالدراسات القروسطية في قسم التاريخ، لأنهم رُصوا الصفوف أثناء إجازاتي من أجل البحث. لقد استفدت كثيراً من المعونة التي وفرها لي قسم الإعارة الداخلية في مكتبة جامعة كيبي، ومن التسهيلات التي قدمتها لي مكتبة جامعة كامبردج، والغرفة الشرقية في مكتبة البودليان، والمعهد الهندي في أوكسفورد، ومكتبة جامعة جون رايلاندز في مانشستر، ومكتبة مكتب الهند، وغرفة طلبة الدراسات الشرقية في المكتبة البريطانية (المندمجة الآن)، ومكتبة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، والمكتبة القومية (ببليوتيك ناسيونال) في باريس، ومكتبة جامعة ريكس بلايدن [هولندا]. ولا يسعني أيضاً إلا أن أعبر عن عميق تقديري، لسعة صدر حافظ مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية في التعامل مع مستعير، أدمن التأخر في رد ما يستعيره بصورة مثيرة للاستنكار. وأنا ممتن للسلطات التركية، ذات العلاقة التي سمحت لي بالعودة إلى مجموعات المخطوطات الموجودة في مكتبتي السليمانية، ونورعثمانية، ومكتبة متحف سراي توب قابي في استانبول. أما الدكتور ريناتوتريني، محافظ المكتبة في أكاديمية لينتشي وكورسينيانا القومية في روما، فقد زوّدني بصورة فورية وباحترام، بصور الملفات ذات العلاقة، من مخطوطة كياتاني رقم: 21 لـ الوافي بالوفيات للصفدي^(*). وكذلك فإن كلاً من مكتبة البودليان، والمكتبة البريطانية والمخطوطات القومية بالهند، كانت كريمة إذ زوّدني بميكرو أفلام، لعدد من المخطوطات الموجودة لديها.

ثمة عدد من الباحثين ساهموا في إنتاج هذا الكتاب، وإخراجه إلى النور. فقبل بضع سنوات، أبدى السيد سايمون ديغبي كرمًا، إذ أعارني صورة عن الجزء الأكبر، من مخطوطة الصياغة المنقحة الأولى لكتاب تاريخ فيروز شاه لباراتي في مجموعته الخاصة، وقد أثبتت أنها لا تقدّر بثمن. وفيما بعد، سمح

(*) طبع الجزء قبل خمسة أعوام بالمعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ضمن النشرة المستمرة لكتاب الوافي.

لي أن أستخدم نصاً، قارنت فيه الجزء الذي يغطي عهد محمد بن تَغْلُق في هذه المخطوطة مع الفقرة، ذات العلاقة في نسخة مكتبة البودليان. وفي الهند سنة 1991م، قام الدكتور أكبر علي خان عرشي زاده، المدير المتطوِّع لمكتبة الرضا في رامبور، باستضافتي، مع زوجي، بكرم وسخاء، ما زلنا نذكرهما بكثير من الدفء والعرفان. ولدينا أيضاً أسباب وجيهة، تجعلنا نقدر معونة فيكرام، سائقنا، وتوني، دليلنا في مدينة دهلي القديمة. أما عن اجتراح الخرائط، فأنا مدين لزميلي أندرو لورنس، من وحدة رسم الخرائط، في قسم علوم البيئة الاجتماعية في كيبي. وفي مطبعة جامعة كامبردج، بزَهْنَتْ ماريغولد أكلاند، على أنها محررة صبورة جداً وطويلة البال.

سيتضح من الصفحات التالية، مدى استفادتي من باحثين أكاديميين آخرين نجحوا في جعل العالم الإسلامي الشرقي، والهند الإسلامية خصوصاً، ميداناً يخصصهم أكثر مما يخصني. لقد تابع الدكتور بيتر هاردي، والبروفسور إدموند بوزوورث، اللذان قاما بصورة مشتركة، بمعاينة أطروحتي للدكتوراه، سنة 1976م، دعمهما لي بصدافتهم واهتمامهما وكرمهما. كذلك كسبت من الفرصة التي أتيت لي، لمقابلة الدكتور خُرْم قادر، من جامعة بهاء الدين زكريا بملتان، ومناقشته حول سلطنة دهلي. ومن الطبيعي أن أكون مسؤولاً وحدي، عن أية أخطاء تمكَّنت من التسلُّل إلى الكتاب.

ليس الإهداء كافياً للتعبير، عن مدى ضخامة ما أدين به من جميل لزوجي. فرغم مشاغلها الكثيرة، المرتبطة بعملها الخاص، لم تتأخر ريبिका قط في توفير التشجيع والدعم المعنوي لمؤلف بدا أحياناً، معلّقاً يتأرجح عند حافة الجنون. لولاها لما كُتِب هذا الكتاب.

ملاحظة عن النقل إلى الحروف اللاتينية

لنقل الكلمات العربية، والفارسية إلى الأحرف اللاتينية، اعتمدت النظام المتبع في الموسوعة الإسلامية، عدا استخدام ch بدلاً من c، z بدلاً من dz وح بدلاً من k. وتوخياً للاتساق والتماثل، تجري تهجئة الأسماء، والتعبير الفارسية المأخوذة من العربية، كما لو كانت عربية: يقال محدث بالثاء بدلاً من Mahaddis بالسين، ذمة بدلاً من زمة Zimma، حضرة بدلاً من هزرت Hazrat، ووقف بدلاً من فقف Vagaf. وباستمرار، جرى تحويل الإضافة إلى (ي) [Yi]. أما فيما يخص أسماء العلم، والعبارات التركية والمغولية، فقد اعتمدت نظام اليونسكو، كما هو مستخدم في ج. آ. بويل، ورثة جنكيزخان (نيويورك، 1971م). تأتي إعادة الهيكلة التجريبية لأي من أسماء الأعلام، مميزة بنجمة كما في آلتونابا أو ترزتق. والقراءة الدقيقة كما هي واردة في المخطوطات، أو النصوص المطبوعة تتم إعادة إنتاجها بأحرف كبيرة، مع استبدال kh بـ x، و gh بـ r، و ch بـ Ç، و sh بـ Š، و Zh بـ Ž، مع تمثيل الأحرف الصوتية الطويلة بـ A و W و Y و «سن» دون أطراف تظهر وكأنها نقطة).

تشكل الأسماء الهندية مشكلة أكبر، وقد وقعت هنا، دون شك، في خطأ عدم الاتساق. فأسماء تلك الأماكن، التي وجدت طريقها إلى التراث الجغرافي العربي المتداول، ترد في صيغتها العربية - الفارسية مثل قنوج وبداون بدلاً من كنياووج وبوداون؛ أما فيما عدا ذلك، فثمة شكل هجين

(يرجى أن يكون قابلاً للتعرف عليه)، جرى استخدامه، مثل كول وتشاندري وإيراش، بدلاً من كويل وتشانديري وإراتش. وحيث باتت التهجئة الأوروبية راسخة، كما هي الحال مع دلهي ولاهور، أوردت الصياغة الفارسية - العربية (ديلي، ديهلي؛ لاهور) جنباً إلى جنب مع التهجئة الأوروبية في المرة الأولى، ملتزماً بعد ذلك بالاستخدام الدارج.

لائحة الرموز المختزلة

آ. الدوريات والمراجع

محفوظات أوراسيا القروسطية أرخيفوم يواراسياي ميدي آفي.	AEMA
أكثا أورنيتاليا أكديمباي سينتيا روم هونغاريكاي	AOH
المسح الآثاري للهند. التقرير السنوي عن النقوش الهندية.	ARIE
بوليتن إيتود أورينتال دولييسنتبتوت فرانسوي دو داماس (نشرة الدراسات الشرقية - المعهد الفرنسي - دمشق)	BEO
المكتبة الهندية بيبليوتيك إنديك	BI
المكتبة البريطانية	BL
المكتبة القومية، باريس (بيبيوتيك ناسيونال)	BN
نشرة معهد الدراسات الشرقية (والإفريقية)، جامعة لندن	BSO [A] S
مجلة آسيا الوسطى	CAJ
هـ. نلسون رايت (محرراً)، دليل القطع النقدية في المتحف الهندي، كالكوتا	CCIM
هـ. نلسون رايت (محرراً)، نقود وموازين سلاطين دلهي	CMSD
معاجم الاقاليم الجغرافية لإقليمي أغرا وأوده المتحدين (عبد الله آباد، 1903 - 1922)، 48 جزءاً.	DGUP
سير هنري إليوت، تاريخ الهند كما رواه مؤرخوها، تحرير ج. دوسون (لندن، 1867 - 1877، 8 أجزاء)	ED
ابجرافيا أنديك	EIAPS
ابجرافيا أنديك. ملحق عربي وفارسي	EIAPS
ابجرافيا أندو - مسلميك	EIM

إ. يارشاتر (محرراً)، الموسوعة الإيرانية (انسكلوبيديا إيرانيكا) (لندن وكوستا ميسا، كاليفورنيا، 1982 - قيد الإنجاز والاستكمال)	Enc. Ir.
تش. بيلان وآخرون (محررين)، الموسوعة الإسلامية، طبعة جديدة، (لايدي، 1954 - قيد الإنجاز)	Enc. Isl.
سلسلة تخليد ذكرى جيب	GMS
هامدارد إسلاميكوس	HI
مجلة هارفارد للدراسات الآسيوية	HJAS
م. حبيب وك. آ. نظامي (محررين)، سلطة دلهي (1206 - 1526م)	HN
جمعية هالكبوت	HS
انديان أنتيكواري (آثار الهند)	IA
و. س. مير وآخرون (محررين)، المعجم الجغرافي الأمبراطوري للهند، طبعة جديدة (أكسفورد 1907 - 1909، 26 جزءاً)	IG
الفصلية التاريخية الهندية	IHQ
المجلة التاريخية الهندية	IHR
مكتبة مكتب الهند، لندن	IOL
دراسات [وملاحظات] شرقية إسرائيلية	IO [N] S
مجلة المعهد البريطاني للدراسات الفارسية	Iran
الدراسات الإسلامية	IS
اسلامكوندليشه أونترزوخنغن	IU
جورنال آسيتيك (المجلة الآسيوية)	JA
مجلة تاريخ آسيا	JAH
مجلة جمعية الاستشراق الأمريكية	JAOS
مجلة الجمعية الآسيوية [في السنغال]	JAS [B]
مجلة الجمعية الآسيوية [الباكستان]	JASP
مجلة جمعية بحوث بيهار [وأوريسا]	JB [O] RS
مجلة آسيا الوسطى	JCA
مجلة تاريخ الهند	JIH
مجلة الدراسات الإسلامية	JIS

لائحة الرموز المختزلة 19

مجلة جمعية النقود والميداليات في الهند	JNSI
مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية	JPHS
مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا العظمى وإيرلندا	JRAS
مجلة الدراسات السامية	JSS
مجلة الجمعية التاريخية للأقاليم المتحدة	JUPHS
يوميات المسح الأثاري للهند	MASI
هند العصر الوسيط: متفرقات	MIM
فصلية هند العصر الوسيط	MIQ
نيو إنديان أنتيكوارى (الأثار الهندية الجديدة)	NIA
مقالات حول تاريخ الشرق الأقصى	PFEH
محاضر... مؤتمر تاريخ الهند [تشير الأرقام إلى رقم الجلسة]	PHC
سي. آ. ستوري، الأدب الفارسي: مسح مكتبي - سييري (لندن، 1927 - قيد الإنجاز)	PL
بامياتنيكي يسمنوستي فوستوكا	PPV
محاضر ندوة المنقوشات القروسطية (6 - 8 شباط 1970م) (البيغاره، 1974م)	PSMI
مجلة جامعة باتنا	PUJ
معهد الأثار الألماني، القاهرة، كُولْن تسور غشيشخته ديس إسلاميش ايجبتسن	QGIA
ات. كومبه، ج. سافواجيه، وج. ويت (محررين)، ريبورتوار كرونولوجيك دوايغرافي آراب (القاهرة 1931م - قيد الصدور)	RCEA
مكتبة رامبور رازا	RRL
مكتبة السليمانية، استانبول	SK
معهد الدراسات الشرقية والإفريقية، جامعة لندن	SOAS
ج. دويرفر، العناصر التركية والمغولية في الفارسية الحديثة	TMENP
متحف سراي توب قابي، استانبول	TSM
أعمال فرع الشرق في جمعية الأثار الملكية الروسية	TVOIRAO
فيندزاييتشريفت فوردي كونده دس مورغلاندس	WZKM
دراسات آسيا الوسطى	ZS

ب - النصوص

أولوغخاني، ظفر الواله، تحقيق، Ross، تاريخ عربي لگوجرات	AHG
فخري مدبر، آداب الحرب والشجاعة	AH
بابور، بابور - نامه	<i>Bābur, Bābur Nāme</i>
كوفي، شاغ - نامه	CN
غزنوي، دستور الألباب	DA
أمير خسرو، ديباجة غرة الكمال	DGK
أمير خسرو، دُول راني خضر خان	DR
سلطان فيروز شاه تُغَلُّق، متوجات فيروز شاه	FFS
يوسف أهل، فرائد غياثي	FG
بَرَنِي، فتاوى جهان داري	FJ
عصامي، فتوح السلاطين	FS
أمير خسرو، غرة الكمال	GK
ابن الأثير، الكامل في التاريخ	IA
ابن بطوطة، تحفة النظار	IB
ابن مهرو، إنشاء مهرو	IM
عوفي، جوامع الحكايات	JH
رشيد الدين فضل الله، خزائن التواريخ	JT
العُمري، مسالك الأبصار	MA
أمير خسرو، مفتاح الفتوح	MF
أمير خسرو، سفر نوح (نوح سبن)	NS
أمير خسرو، قران السعدين	QS
أمير خسرو، رسائل الإعجاز	RI
فخري مدبر، شجرة الأنساب	SA
مجهول المؤلف، سيرت فيروز شاه	SFS
كرماني (أمير خورد)، سير الأولياء	Siyar
رشيد الدين فضل الله، شُعب - ي بنجفانا	SP
حسن نظامي، تابع المآثر	TAJ

برني تاريخ فيروز شاه	TFS
برني تاريخ فيروز شاه، الصياغة المنقحة الأولى	TFS ¹
جويني، تاريخ جهان كشاي	TJG
سرهندي، تاريخ مبارك شاه	TMS
الجوزجاني، طبقات ناصري	TN
أمير خسرو، تحفة الصغار	TS
أمير خسرو، تَغْلُقُ نامه	Tughlug - Nama
أمير خسرو، وسط الحياة	WH
شامي، ظفر نامه	Shāmī, ZN
يزدي، ظفر نامه	Yazdi, ZN